

## هل الكتابات النبطية في "مدائن صالح" دفنية

الدكتور رفعت هزيم

### الملخص:

تعدّ الكتابات الدفنية في مدائن صالح، من أهمّ الكتابات التي خلفها الأنباط، وقد جعلها الباحثون عربياً ومستشرقين - من الضرب الدفني أو القبوري. ويحلّل البحث هذه الكتابات من حيث مضمونها وأسلوبها، ثم يناقش أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين الكتابات الدفنية في الفرع الشمالي من السامية الغربية، ثم ينتهي إلى رأي جديد في تصنيفها.

### البحث:

النقش القبوري أو الدفني<sup>(١)</sup>، كتابة مصاحبة لقبر أو مدفن أو تابوت أو نصب تذكاري دفني يقيمه ذوو الميت لتخليد ذكراه ولإثبات حبهم وإخلاصهم له. وليست الألفاظ المستعملة لهذه الدلالات في الكتابات النبطية خاصة بها وحدها، فثلاثة منها من السامية المشتركة، وهي: (ntš)<sup>(٢)</sup>، 'rm'<sup>(٣)</sup>، 'qbr'<sup>(٤)</sup>، وأربعة أخرى مشتركة بينها وبين الساميات: فلفظ 'ktr' مشترك مع العربية واللحيانية والجعزية<sup>(٥)</sup>، ولفظ 'wgr' مشترك مع العربية والأحسانية<sup>(٦)</sup>، ولفظ 'gwh' مشترك مع التدمرية والسريانية وكذلك العربية<sup>(٧)</sup>، والتركيب الإضافي 'byt clm' مشترك مع الفينيقية والآرامية والتدمرية<sup>(٨)</sup>، وقد يجتمع في مستهل النقش النبطي - أحياناً - اللفظ الذي يعني "القبر" واللفظ الدال

على "النصب الدفني" معاً، نحو: (Milik 1958). (196 mqbṛt' wtrty nfšt' : , mqbṛt' wnfš' 196) CIS 11 196 (من مادبا) Altheim & stiehl 1968) n[f] š' wqbṛt'.

والغالب على هذا الضرب من النقوش العربية -في النبطية- أن يُذكر فيه اسم منشئ القبر أو التابوت أو النصب الدفني مقروناً باسم الميت واسم أبيه ورتبته أو مهنته - أحياناً- مع بيان الصلة بين المنشئ والميت، فمن أمثلته: "نصب = nfš فلانة الذي بناه لها فلان زوجها" (CIS II 162 من السويداء)، و: "هذا نصب فلان بن فلانة وفلانة زوجته، الذي بناه فلان ابنهما" (CIS II 191 من أم الجمال)، و: "هذا التابوت = ṛm الذي صنع فلان بن فلان لزوجته فلانة بنت فلان الإيثاركوس" (CIS II 173 من بصرى)، وقد يضاف إلى ذلك التاريخ كما في نقش من أم الرصاص: "هذا نصب فلان بن فلان الاستراتيجوس، الذي صنعه له أخوه الاستراتيجوس فلان في السنة الأولى لمالك الملك ملك الأنباط" (CIS II 195)، وفي آخر من البتراء: "هذا بيت الأبدية = byt 'lm لفلان بن فلام الذي أقامه له ابناه فلان وفلان، مات بشهر شباط سنة ٢٦ لحارثة ملك الأنباط محب شعبه" (Negev 1971). وأقصر من ذلك وأبسط بنسأً ألا يرد في النقش سوى اسم الميت واسم أبيه فلا يدل على أنه دفني سوى اقترانه بقبر أو تابوت أو نصب دفني، نحو: "فلانة بنت فلان" (CIS II 175 من بصرى)، أو لفظ بمعنى "قبر" مضافاً إلى اسم الميت، نحو "مقبرة فلان" (CIS II 181 من بصرى أيضاً).

وقد استنبط دارسو الفرع الغربي الشمالي من اللغات السامية، الذي يشمل الكتابات النبطية- من النقوش الدنيّة الطوال في هذا الفرع أهم عناصرها، وهي -عندهم- ستة:

أولها: ذكر القبر أو التابوت أو النصب الدفني؛ وثانيها اسم المنشئ أو الباني؛ وثالثها اسم الميت مع ذكر لقبه ونسبه أحياناً؛ ورابعها: إنزال اللعنة بمنتهك حرمة القبر أو

النصب؛ وخامسها: مباركة صائن القبر ومحتوياته؛ وسادسها: تاريخ النقش<sup>(٩)</sup>. وجعل هؤلاء الدارسون الكتابات النبطية في مدائن صالح من هذا الضرب، فهل هي كذلك؟

تقع مدائن صالح -التي كانت تسمى قديماً الحجر<sup>(١٠)</sup>، وسط سهل رملي واسع تحيط به الجبال في شمالي الحجاز، وكانت في القرن الأول الميلادي مركز الأنباط التجاري الذي يصلهم بالخليج العربي وبلاد ما بين النهرين شرقاً، وبالبحر الأحمر غرباً وجنوبي الجزيرة العربية جنوباً وبعاصمتهم البتراء شمالاً<sup>(١١)</sup>، زد على ذلك أهميتها العسكرية -آنذاك- التي يدل عليها أسماء الضباط المذكورة في نقوش مدافنها<sup>(١٢)</sup>، ومن المرجح أن الرحالة داوتي Doughty، كان أول زائر أوروبي للمنطقة بين عامي ١٨٧٦-١٨٧٨، ضمن جولة شملت بلاد الشام وشمالي الجزيرة العربية، حيث اكتشف فيها المدافن المنحوتة في الصخور ونقل ما عليها من نقوش<sup>(١٣)</sup>. وتلاه الباحثان هوبر Huber وأوبتنغ Euting في زيارة علمية متأنية عام ١٨٨٤، انتهت بعد انفصالهما -بمقتل أولهما وعودة الثاني إلى ألمانيا حيث نشر في العالم التالي كتاباً تضمن صوراً للنقوش النبطية وقراءة لها وترجمة مذبلة بتعليقات لغوية لتوئلكة<sup>(١٤)</sup>. ثم قام باحثان من المدرسة الإنجيلية في القدس هما الأبوان الدومينيكيان جاسان وسافنيك Jaussen et Sanignac بثلاث رحلات إلى شمالي الجزيرة العربية في الأعوام ١٩٠٧ و ١٩٠٩ و ١٩١٠، ونشرا في كتاب صدر في جزأين عن تلك الرحلات دراسة أثرية شاملة لمدائن صالح وتحليلاً لنقوشها المعروفة مع إضافة نقوش جديدة لم تنشر من قبل<sup>(١٥)</sup>. وبالرغم من زيارات باحثين آخرين من بعد<sup>(١٦)</sup>، فإن كتابهما هذا ما يزال -لحقته وشموله ووصفه الآثار والنقوش قبل أن تلحق بها العوامل الطبيعية وأيدي الزوار العابثين الأضرار- المرجع الأول عن المنطقة في المجالين الأثري والنقشي الكتابي (Epigraphie).

ويبلغ مجموع المدافن النبطية في هذا الموقع ثمانين -وإن كان ما يحمل منها كتابة لا يزيد على أربعة وثلاثين- قسمها الأبوان جاسان وسافنيك إلى مجموعات رمزا إليها

بالأحرف اللاتينية من A إلى F مقرونة بالأسماء المحلية -آنذاك- لكل موضع. وهذا بيان بالمدافن ونقوشها<sup>(١٧)</sup>:

١- المدافن A: (قصر فهد، أو: المدقة والهاجري): ومجموعها ثمانية، ونقوشها أربعة: فالنقشان JS<sub>1</sub>، و JS<sub>2</sub>، و JS<sub>3</sub> من المدفن A<sub>3</sub> من A<sub>3</sub>، و JS<sub>4</sub> من A<sub>8</sub>.

٢- المدافن B (قصر البنّيت): ومجموعها ثلاثة وعشرون. ونقوشها ستة عشر: فالنقش JS<sub>5</sub> من المدفن B<sub>1</sub>، و JS<sub>6</sub> من B<sub>3</sub>، و JS<sub>8</sub> من B<sub>6</sub>، و JS<sub>9</sub> من B<sub>7</sub>، و JS<sub>10</sub> من B<sub>9</sub>، و JS<sub>11</sub> و JS<sub>12</sub> من B<sub>10</sub>، و JS<sub>13</sub> و JS<sub>14</sub> من B<sub>11</sub>، و JS<sub>15</sub> من B<sub>17</sub>، و JS<sub>18</sub> من B<sub>20</sub> + B<sub>21</sub> (بين بين)، و JS<sub>19</sub> من B<sub>22</sub>، و JS<sub>20</sub> من B<sub>23</sub>.

٣- مدفن الفريد، ومنه النقش JS<sub>21</sub>.

٤- المدافن C&D (الخصرف أو الخسروف): ومجموعها تسعة عشر. ونقوشها سبعة: فالنقش JS<sub>23</sub> من المدفن C<sub>1</sub>، و JS<sub>24</sub> من C<sub>6</sub>، و JS<sub>26</sub> من C<sub>7</sub>، و JS<sub>23</sub> من C<sub>14</sub>، و JS<sub>27</sub> من C<sub>17</sub>، و JS<sub>22</sub> من D، و JS<sub>28</sub> من D<sup>\*</sup>.

٥- مدفن قصر الصانع: ومنه النقش JS<sub>29</sub>.

٦- المدافن E&F (الخريمات): ومجموعها ثمانية وعشرون. ونقوشها تسعة: فالنقش JS<sub>30</sub> من E<sub>1</sub>، و JS<sub>31</sub> من E<sub>3</sub>، و JS<sub>32</sub> من E<sub>4</sub>، و JS<sub>33</sub> من E<sub>6</sub>، و JS<sub>34</sub> من E<sub>14</sub>، و JS<sub>35</sub> من E<sub>16</sub>، و JS<sub>36</sub> من E<sub>18</sub>، و JS<sub>37</sub> من E<sub>19</sub>، و JS<sub>38</sub> من F<sub>4</sub><sup>(١٨)</sup>.

فيكون -بذلك- مجموع نقوش المدافن ثمانية وثلاثين (JS<sub>1-38</sub>)<sup>(١٩)</sup>. متفاوتة طولا إذ لا يتجاوز أقصرها سطرًا (JS<sub>21</sub>) أو اثنين (JS<sub>33</sub>) أو ثلاثة (JS<sub>13</sub> JS<sub>34</sub>). في حين يصل أطولها إلى أربعة عشر سطرًا (JS<sub>11</sub>). ومعظمها بين خمسة أسطر واثنى عشر سطرًا. ولكن الباحثين يستبعدون منها غالبًا نقشين: أحدهما JS<sub>1</sub>، المعروف باسم "نقش رقاش". للاختلاف في لغته أنبطية هي أم عربية<sup>(٢٠)</sup>؛ فضلًا عن تأخره زمنًا إذ يعود إلى عام

٢٦٧م، أي إلى ما بعد انتهاء استقلال الأنباط بما يزيد عن قرن ونصف القرن؛  
وثانيهما js<sub>18</sub> لأنه من الضرب التذكاري. وينبغي إضافة ثالث إليهما هو js<sub>15</sub> لأنه لم  
يبق منه سوى خمسة أحرف لا ينتج عن قراءتها بأي وجه كلام ذو معنى. أما مجموع  
المؤرخ من النقوش الخمسة والثلاثين الأخرى فهو واحد وثلاثون<sup>(٢١)</sup>؛ يرجع أقدمها  
إلى بداية التقويم الميلادي وأحدثها إلى عام ٧٦م، وهي موزعة على ثلاثة عهود  
فالمؤرخ منها بحكم حارثة الرابع (٩ ق.م - ٤٠م) عشرون، وبحكم مالك الثاني  
(٤٠-٧٠م) ثمانية، وبالسنوات الخمس الأولى من حكم رب إل الثاني آخر ملوك  
الأنباط (٧١-١٠٦م) ثلاثة<sup>(٢٢)</sup>.

ويُظهر تحليل بناء هذه النقوش المكتوبة غالباً على لوحة منحوتة فوق الجملون  
بمدخل المدفن<sup>(٢٣)</sup>. اشتمال معظمها على عناصر تجري عادة على هذا النحو: ذكر  
المدفن أو ما يشتمل عليه، فذكر اسم الباني أو المالك، فتحديد رتبته أو مهنته، فبيان  
لمن يحق له استعمال المدفن، فتفصيل لشروط التصرف فيه، فتحديد لعقوبة المخالفين،  
فبسط الحرمة على المدفن، فحظر العبث به وبنقشه، فتاريخ النقش، فذكر اسم النحات.  
وإليك تفصيلها<sup>(٢٤)</sup>:

١- ذكر المدفن: والتركيب المستعمل باطراد لهذا الغرض هو اسم الإشارة dnh مثلوا  
بلفظ kfr، أو - وهذا قليل - بلفظ qbr<sup>(٢٥)</sup> للمدفن، أو بلفظ gwh للجزء منه إن  
كان النقش داخل المدفن لا خارجه<sup>(٢٦)</sup>. واتبع اللفظ الدال على المدفن في أحد  
النقوش بلفظي bss و krk<sup>(٢٧)</sup> أي: القاعدة والفناء، كما اتبع في نقش آخر بلفظ  
wn مستراح، مثوى والمراد به هنا المدفن نفسه<sup>(٢٨)</sup>.

٢- ذكر اسم المالك أو المنشئ: ويكون ذلك بثلاثة أساليب: أحدها - وهو الشائع -  
استعمال جملة مؤلفة من الاسم الموصول dy متبوعاً بفعل bd "صنع" فاسم  
المالك: dy bd؛ وثانيها: استعمال الاسم الموصول متبوعاً باللام الجارّه دون

وساطة الفعل: dy lx؛ وثالثها -وهو أقلها- استعمال dy وحدها متبوعة باسم المالك: kfr' dyx.<sup>(٢٩)</sup> والمالك -غالباً- رجل واحد وقد يكون امرأة<sup>(٣٠)</sup>. وثمة شواهد كثيرة على المشاركة في الملكية؛ فهي بين امرأة وابنتها<sup>(٣١)</sup> أو امرأة وبناتها<sup>(٣٢)</sup> أو امرأتين من أسرتين مناصفةً بينهما<sup>(٣٣)</sup>، أو رجل وامرأة لم تُحدد الصلة بينهما فله التثنت ولها التثلاث<sup>(٣٤)</sup>، أو رجل وابنته<sup>(٣٥)</sup>، أو أخوين<sup>(٣٦)</sup>، أو أخوة وأمهم<sup>(٣٧)</sup>، وورد في أحد النقوش أن المالك وهب المدفن لزوجته<sup>(٣٨)</sup>.

٣- تحديد رتبة المالك أو مهنته: فهو استراتيجوس 'srtg'<sup>(٣٩)</sup>، أو قائد مئة 'qntryn'<sup>(٤٠)</sup> أو إيباركوس 'hfrk'<sup>(٤١)</sup>، أو طبيب 'sy'<sup>(٤٢)</sup>، أو 'ftwr'<sup>(٤٣)</sup>.

٤- بيان المستفيدين من المدفن: وهم -في الأعم الأغلب- المالك نفسه وأولاده وذريته المذكورين على هذا الترتيب في العبارة الشائعة: Infšh wyldh w'hrh<sup>(٤٤)</sup> متلوّة -أحياناً- بالتعبير القانوني: 'sdq b'sdq<sup>(٤٥)</sup>، أو به وبعبارة: dy ytbqrwn bkfr' dnh معاً<sup>(٤٦)</sup>. على أن المالك يحدّد في معظم الأحيان المستفيدين تحديداً دقيقاً، وهم -وفقاً لنسبة ذكرهم في النقوش- الزوجة<sup>(٤٧)</sup>، فالأم<sup>(٤٨)</sup>، فالأخ<sup>(٤٩)</sup>، فالأب<sup>(٥٠)</sup>، فالأخوات وحدهن أو مع أولادهن<sup>(٥١)</sup>، فالخاله<sup>(٥٢)</sup>. ويُسمح بالدفن -إضافةً إلى هؤلاء- لمن يبرز إنشأ مكتوباً: ktb tqf<sup>(٥٣)</sup> من المالك نفسه: wlmn dy ynfq bydh tb tqf mn yd أو من أشخاص آخرين سواء يحدّدهم هو نفسه كذلك<sup>(٥٤)</sup>.

٥- شروط التصرف بالمدفن: يمنع المستفيدون من التصرف به منعاً باتاً: شراءً أو بيعاً أو رهناً أو هبةً أو تأجيراً، في العبارة المألوفة: yzbn 'w yzbn 'w yrhn 'w yntn 'w ywgr<sup>(٥٥)</sup> كما يشمل المنع إصدار أحد المستفيدين صكاً مكتوباً خاصاً بالمدفن أياً كان الغرض من هذا الصك، في العبارة: I' yktb bqbr' dnh ktb<sup>(٥٦)</sup> أو ما شابهها.

٦- تحديد عقوبة المخالفين: هي لعنة الآلهة أو الغرامة المالية، أو كلتاها معاً<sup>(٥٧)</sup>، ووردت عقوبة ثالثة في شاهد واحد (JS26) هي أن تؤول حصّة المخالف في المدفن إلى من يليه في درجة القرابة. والآلهة صاحبة الشأن هنا هي: ذو الشوى وحده<sup>(٥٨)</sup>، أو هو ومناء<sup>(٥٩)</sup> وقد يتلثهما اللات أو هبل<sup>(٦٠)</sup>. أما الغرامة فتكون للآلهة وللملك الحاكم بالتساوي<sup>(٦١)</sup> أو تكون للآله وحده، أو للملك وحده أو للكاهن وحده<sup>(٦٢)</sup>.

٧- بسط الحرمة على المدفن: إذ ورد في أحد النقوش أن للمدفن حرمة تقابل ما هو محرم لدى الأنباط والسلميين<sup>(٦٣)</sup>، وورد في آخر أن تلك الحرمة تماثل مالذي للشرى لدى كلتا الجماعتين<sup>(٦٤)</sup>، ووُسّع مدى الحرمة في ثالث ليّشمل المدفن والنقش جميعاً<sup>(٦٥)</sup>.

٨- حظر العبث بالمدفن ونقشه: سواء بكشف القبر: (JS13) 'wl' yfth 'lyhm l 'lm أو بذلك وبإخراج الجثة أو أحد أعضائها منه: 'w ynfq mnh gt 'w šlw (JS16)<sup>(٦٦)</sup>، وإلا كان جزاء هؤلاء العابثين أن تنزل بهم لعنة "فاصل الليل من النهار" (JS2)، أو لعنة "سيد العالم"، مالم يكونوا من ذرية المتوفى (JS17)<sup>(٦٧)</sup> أو لعنة ذي الشرى وجميع الآلهة، فضلاً عن غرامة مالية تدفع للملك (JS11).

٩- تاريخ النقش: ويكون عادة بتحديد الشهر والسنة من عهد واحد من الملوك الثلاثة المتعاقبين؛ حارثة الرابع فمالك الثاني فرّب إل الثاني، باستعمال العبارة المألوفة: byrh x šnt x l x mlk nbṭw bydh "في شهر كذا سنة كذا لفلان ملك الأنباط".

١٠- ذكر اسم النحات أو النحاتين: والموضع الثابت له هو نهاية النقش، والأسلوب الشائع فيه: 'bd' 'fsl "فلان النحات صنعه"، أو مختصراً بدون الفعل: 'fsl.. "فلان النحات" وقد يشترك في العمل أحياناً اثنان من النحاتين أو ثلاثة<sup>(٦٨)</sup>.

مما يرجح أن الحديث هنا عن المدفن والنقش معاً<sup>(٦٩)</sup>، وإن كان هذا العنصر لا يرد إلا في سبعة عشر من هذه النقوش.

وتتضح من هذا العرض أوجه الاتفاق بين هذه العناصر -مطردة أو غير مطردة- ونظائرها في النقش الدفني في السامية الغربية الشمالية كما ذكرت أعلاه، وهذا على الأرجح - ما جعل الباحثين يعدّون نقوش المدافن في مدائن صالح من هذا الضرب. غير أن تفحص معيار التصنيف -هنا وهناك- ينتهي بنا إلى ثلاث نتائج هامة:

إحداها: أن معظم العناصر مشترك مع أضرب أخرى في السامية الغربية الشمالية كالنقوش المعمارية أو الوقفية مثلاً، وثانيتها: أن الفصيل -عند الباحثين- في إدراج نقش ما في الضرب الدفني هو ورود اللفظ الدال على القبر فيه، والثالثة: أن هذا المعيار مستمد من الشكل وحده، أي من أسلوب النقش مع إهمال مضمونه أو الغرض منه إهمالاً تاماً، في حين أن الغرض -فيما أرى- هو المرجح دون سواه لنسبة النقش إلى هذا الضرب أو ذاك. وقد فطن بعضهم إلى هذا فبين أن المراد من النقش الدفني أن يكون ذكرى للميت وتوقيراً له، ولذا يُذكر فيه عمره وتُعدّد أعماله، وتُمدّح فضائله، ويُتحرّس على فقدّه، ويُدعى له بالسكينة والراحة في قبره<sup>(٧٠)</sup>.

فلم لا يجد المرء شيئاً من هذا في نقوش المدافن في مدائن صالح -وهي لا تشكو من القصر- إن كانت -كما يزعمون- دفنية؟ إن مرد ذلك إلى جملة أمور:

أولاً: لأن مدافنها بُنيت في حياة أصحابها ولأن نقوشها كُتبت قبل وفاتهم<sup>(٧١)</sup>، فأنى لهذه النقوش -إذن- أن تتحدث عن أعمالهم وفضائلهم والأسى عليهم والدعاء لهم، وهم بعد أحياء يرزقون؟

ثانياً: لأن نقوشها لا تتحدث -كما هو مألوف- عن قبور فردية بل عن مدافن جماعية أعدّ كل منها ليكون -غالباً- مدفناً خاصاً بإحدى الأسر ويُستعمل إلى أجل غير محدد. والغرض من هذه النقوش هو -في المقام الأول- حفظ حقوق أصحاب المدافن



وصونها من التعدي عليها أو العبث بها، ولذا فإنها تمتلئ بالألفاظ بمعنى "القبر" (gwh'، qbr'، kfr')، وتخلو خلواً تاماً من الحديث عن "النصب.الدفني" (nfs') الذي يرافق عادة قبور الأموات على النحو الذي رأيناه في نقوش أخرى- فيما سبق.

ثالثاً: لأن لعنة الآلهة -هنا- ليست لمن يعبث بالمدفن وما فيه فحسب- كما هو معروف في النقوش الدفنية- بل هي لعنة مزدوجة إذ تصيب كذلك مخالفي شروط استعمال المدفن.

رابعاً: لأن هذه النقوش -وحدها- تفرض على عدم الملتزمين بشروط استعمال المدافن وكذلك على العابثين بها غرامة مالية<sup>(٧٢)</sup>، فضلاً عن لعنة الآلهة الشائع ذكرها في النقوش الدفنية.

خامساً: لأن النقوش شبيهة -من حيث بناؤها ومضمونها- بصكوك كاتب العدل أو السجل العقاري في عصرنا هذا، ففيها تعبيرات قانونية تحدد حقوق الوراثة والملكية والتصرف فيها، وكذلك العقوبات الدينية والجزائية للمخالفين تحديداً دقيقاً.

فهذه النقوش -إذن- كتابات قانونية<sup>(٧٣)</sup>، كان ارتباطها بالمدافن مصادفة محضة إذ يمكن أن ترافق ضرورياً أخرى من الممتلكات والمنشآت كتلك التي ورد ذكرها في الكتابات النبطية والآرامية واليونانية في برديات "أرشيف باباتا" المكتشف في كهوف عين جدي على البحر الميت، وفيه وثائق تملك لأراضٍ وبستانٍ نخيل يبيعاً وشراءً وهبةً، وفيه كذلك دعاوى تنازع على الملكية بين أفراد الأسرة<sup>(٧٤)</sup>، وفي عقود البيع والشراء من هذه الوثائق المسجلة في السجل النبطي الملكي بدءاً من عام ٩٤م، -أي في عهد رب إل الثاني آخر ملوك الأنباط- تعبيرات قانونية مشابهة لنظائرها في نقوش مدائن صالح؛ فقد نص أحدها على حق الملكية التامة للمشتري وكذلك حقه في البيع والشراء والرهن ونقل الملكية، وأن يفعل كل ما يرغب فيه بما اشتراه بدءاً من يوم كتابة العقد وإلى الأبد<sup>(٧٥)</sup>: bzbny' 'l lysb'.. dnhmn.

Lmzbn' wlbznh wmrhn wlmnhl wlmntn wlm' bd bzbny' lhkdy ysb'.... šnh mn  
(٧٥) ywm d'tktyb štr' dnh w' d 'lm

فإذا صحت هذه النتيجة التي وصلنا إليها فكيف نعلل مسألتين؛ إحداهما: خلو نقوش مدائن صالح من عنصر هام في النصوص القانونية هو توقيع الشهود<sup>(٧٦)</sup>، والأخرى: الاشتراك بينها وبين النقوش الدقنية في عنصر لصيق بها هو التحذير من فتح القبر والعبث بما فيه؟ فأما المسألة الأولى فتعليلها أنه ورد في أحد النقوش ضرورة إيداع نسخة منه في المعبد<sup>(٧٧)</sup> (JS<sub>36</sub>)؛ ألا يكفي هذا الإجراء -إضافة إلى ما رأيناه من بسط الحرمة على المدفن- لتأكيد حق الملكية وإشاعته بين الناس وإضفاء شيء من القداسة عليه فيسَدّ هذا كله مسدّد شهادة الشهود؟ وأما الثانية<sup>(٧٨)</sup> فليس غريباً -فيما أرى- ورود مثل ذلك في نص قانوني يريد به أصحابه صون حقوقهم وضمان عدم التعدي عليها.

ومما يلفت النظر -أخيراً- أن أحد الباحثين تنبه منذ زمن طويل إلى خصوصية نقوش المدافن في مدائن صالح إذ قورنت بالنقوش الدقنية -في النبطية وسواها- فأشار إلى أنها "أغنى محتوى مما تتضمنه النقوش الدقنية عادة"<sup>(٧٩)</sup> ولعل ذلك هو الذي جعل بعضهم يجيز إخراجها من هذا الضرب وإدراجها في النقوش المعمارية؛ لأنها تتحدث عن بناء وبان وزمن البناء والغرض منه، غير أنها تصنف على أنها دقنية لأن البناء المذكور فيها هو القبر، مثلاً تصنف النقوش الخاصة بالبناء المكرس للآلهة على أنها وقفية<sup>(٨٠)</sup>.

ولكن أليست نقوشنا هذه -استناداً إلى ما تقدم- أقرب إلى النقوش القانونية منها إلى النقوش المعمارية؟

تذييل: وصل إليّ كتاب:

The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada' in Saliḥ by J. Healey (JSS, Suppl. 1)  
Oxford, 1993

مصوراً بعد كتابة البحث وطباعته وهو -فيما أعلم- أحدث ما نُشر عن كتابات المدافن النبطية وأغزره مادةً وأكثره شمولاً. وقد استطاع المؤلف نقحرة النقش القصير JS<sub>15</sub> المؤلف من سبعة أحرف -لا خمسة- هكذا: 'fth' bd "[النحات] فلان صنع"، وذكر أن القراءة مؤكدة (انظر 152-153 pp). وأضاف إلى مجموعة النقوش نقشين آخرين من عهد رب إله الثاني، أحدهما (H<sub>17</sub>) -وهو من واجهة المدفن E<sub>1</sub>- مؤلف من أربعة أسطر، والآخر (H<sub>18</sub>) -وهو من واجهة المدفن E<sub>3</sub>- لم يسلم منه سوى أجزاء من السطرين الأول والأخير، ولا يعرف عدد أسطره -كما يقول المؤلف- على وجه اليقين، فضلاً عن الطمس في كلا النقيشين (انظر 163-165 pp). كيرتفع -بذلك- عدد النقوش المؤرخة بعهد هذا الملك إلى خمسة. فإذا استثنينا هذه الإضافات القليلة إلى البحث فإن كتاب هيلي جعلني أكثر اقتناعاً بما أورده في هذا البحث من آراء.



## الهوامش

- (١) Tomb or Funerary Inscription
- (٢) ووردت صيغ أخرى مشابهة، ومنها : mqbr في RES 805 من حوران، و mqbr في CIS II 196 من مادبا، و qbr في JS<sub>٣٤</sub> من مدائن صالح.
- (٣) انظر : DISO, p 25.
- (٤) وإن كانت الآراء في تفسير هذا اللفظ في النبطية وغيرها متباينة. انظر: DISO, p.183f, و Zayadine, p. 221, و Lipinski 1975, p. 149f. ووردت صيغة المؤنثة nfst في CIS II.
- (٥) في لسان العرب: الكفر: القبر، وفي النقوش الحثانية: JS<sub>٤٥-٦٥</sub> وفي الجعزية: Kafar "قبر"، انظر : Leslau p. 277.
- (٦) ورد wgr في JS<sub>١١-١٢</sub>. وفي لسان العرب: "الوجر، مثل الكهف... والوجار جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب..." وورد في الأحسانية مقترنا بلفظ qbr في Ja 1045, 1046, 1058.
- (٧) صيغته في التدمرية gwmh (CIS II 4175)، وفي السريانية bēt gmāhā القبر، انظر : Brockelmann, p. 120 وفي العربية جوخة "حفرة". وانظر بشأن الدلالة الهامش ٢٦ أدناه.
- (٨) هو في التدمرية شائع، انظر شواهد فيها وفي الفينيقية في : DISO, p. 35 وانظر شواهد في الآرامية في : Lipinski 1994, pp. 91, 143.
- (٩) انظر التفصيل في Mueller, p. 113 ff، وقارن بـ : Lidzbarski, p. 137 ff.

- (١٠) ورد ذكر "أصحاب الحجر" دون ذكر للأنباط أو سواهم في الآية ٨٠ من سورة الحجر ويستدل من آيات أخرى أنهم قوم ثمود. أما صيغة الاسم في الكتابات النبطية فهي 'Hgr'.
- (١١) انظر: Bowersock, p. 70-71. وثمة إشارة إلى ميناء نبطي -آنذاك- يدعى Leuke Kome على ساحل الحجاز، انظر: Periplus, ch. 19.
- (١٢) انظر: Bowersock, p. 57-58, Negev 1976, p. 228-229.
- (١٣) نشر E. Renan سبعة وعشرين نقشاً عام ١٨٨٤م، في كتاب بعنوان: Documents épigraphiques recueillis dans le Nord de l'Arabie, par Ch. Doughty. paris, 1884. أما وصف الرحلة في كتاب من مجلدين فقد صدر بعد ذلك بأربعة أعوام، انظر: Doughty 1888.
- (١٤) مجموع النقوش في كتابه ثلاثون، اثنان منها من العلا (ديدان)، فضلاً عن بعض المخربشات، Graffiti، انظر: Euting 1885.
- (١٥) انظر: JS I, II, 1909, 1914، وانظر المخطط الطبوغرافي لمدائن صالح المنقول منه في نهاية البحث.
- (١٦) انظر مثلاً: winnett & Reed 1970، و Parr et al, 1972.
- (١٧) ثمة وصف مفصل للمدافن في: JS I, p. 307-404, II, p. 78-108. قارن بـ: Healy, p. 205-23, Negev 1976، و: الأنصاري وآخرون: ص ٢٠-٥٠، و: JS 111-112، أما النقوش فلها مصادر أخرى -سوى Euting و JS- أهمها: مدونة النقوش السامية CIS II.
- (١٨) انظر جدول النقوش في نهاية البحث.

(١٩) ذكر كانتينو أن النقوش الدفنية هي: JS 1-16, 19-38 مستثنياً بذلك النقشين 17:18 دون تعليل، انظر Cantineau I, p. 19 وينبغي هنا التنبيه إلى وجود نقوش أخرى في مدائن صالح بعيداً عن المدافن، منها JS 39:40 من "الديوان" ويرى معظم الباحثين أنها ليست دفنية. وربما كان ضم هذين النقشين هو الذي جعل هيلي يرفع العدد إلى أربعين نصاً طويلاً: major texts، انظر Healey, p. 110 وثمة نقش دفني من المنطقة يعود إلى سنة ٣٥٦م، اكتشف ونشر بعد هذه المجموعة بزم من طويل، انظر: Altheim & Stiehl 1968.

(٢٠) ذهب بعضهم إلى أنه مليء بالتعبيرات العربية، انظر: Cantineau II, pp. 38-39، وعده آخرون عربياً في ثوب نبطي، انظر: Roschinski, p. 162.

(٢١) هو كذلك عند هيلي، انظر: Healey, p. 111، أما العدد عند Negev ثم خيرى فهو ثلاثون؛ وإن كانت قائمة ثانيهما مقتصرة على ستة عشر نقشاً أحدها -وهو JS39- وقفي من موقع "الديوان". والصواب ما ذكرناه لأن Negev استثنى JS11 بالرغم من أنه مؤرخ، انظر: Negev, 1976 p. 207، و Khairy, pp. 164, 168.

(٢٢) المؤرخ بحكم حارثة في قائمة Negev ١٩ نقشاً فحسب، ومرد ذلك إلى إغفاله النقش JS11. والتوزيع عدد خيرى على العهود الثلاثة مختلف فهو ٢٠+٩+٢ على الترتيب. وبالرغم من اقتباسه ما جاء عند Negev فإنه لم يعلل سبب الاختلاف بينهما، انظر: Negev 1976 p. 208، و Khairy, p. 164. وزاد كانتينو عدد المؤرخ بحكم مالك إلى تسعة ليرتفع -بذلك- مجموع النقوش المؤرخة عنده إلى ٣٢، انظر: Cantineau I, p. 19. ويمكن تأريخ نقشين آخرين غير مؤرخين هما JS2, JS13 من المدفنين A3, B11 استناداً إلى نقشين مؤرخين من المدفنين المذكورين هما JS1, JS14، فيزداد عدد المؤرخ بعهدي حارثة ومالك نقشاً واحداً لكل منهما. ويبلغ مجموع المؤرخ -عندئذ- ٣٣ نقشاً.

(٢٣) تسمى اللوحة في اللاتينية: Tabula ansata، و "الجميلون" هو الواجهة المثلثة أعلى المدخل.

(٢٤) اعتمدنا قراءة JS ونقهرته لأن الناشرين استدركا وصححا ما وقع في نشرتي أوييتغ Euting والمدونة CISII من نقص وخطأ. كما أن بعض النقوش لا يرد في المصدرين المذكورين.

(٢٥) ورد Kfr في ٢٧ نقشاً، في حين لم يرد qbr إلا في أربعة، انظر جدول النقوش في نهاية البحث. ويدل تعاقبهما في بعض النقوش كما في النقشين JS8.9 على أنهما مترادفان، ويرى بعضهم أن qbr هو الأصل وأن Kfr متطور عنه، انظر: Levinson, p.211، و Qozi, p. 122.

(٢٦) في النقوش JS2:11;13 والسائغ ترجمته في اللغات الأجنبية إلى *loculos*، انظر مثلاً Cantineau II, p. 77. أما في العربية فقد ترجم نظيره في التدمرية 'gwmh' إلى "معزبة" انظر: البني ص ٢٦٥. انظر بشأن الأصل الاشتقاقي له: Lipinski, 1975, p.201، و O'Connor, p. 218، وقد ترد ألفاظ أخرى في النقش في سياق الكلام على تقسيم ملكية المدفن، نحو: *sryh* في JS24.

(٢٧) في النقش JS1. ولم يرد اللفظ الأول -وهو من اليونانية Basis- إلا في هذا الموضع. ولم تتفق المراجع التي بين يدي على تحديد المراد به في هذا السياق. أما Kwn فورد في التدمرية وفي آرامية الدولة وإن كانت دلالته في الأخيرة مختلفة، انظر DISO, p. 127. وقد قرئ اللفظ في هذا الشاهد قراءة أخرى هي Kwr (انظر Eut.4 ونظيره CIS II 199). غير أن وروده في شاهد آخر هو CIS 350 II من البتراء يرجح القراءة الأولى.

(٢٨) هذا تفسير نولدكة في تعليقه على النقش Eut6، وذكر أن اللفظ معروف في آرامية التلمود وفي السريانية، وتابعه على هذا Lidzbarski, p. 210 و:



Cantineau 1.p57 II, p. 57 في حين ذهب رينان إلى أن القراءة 'm' "تابوت" الوارد في: CIS II 173 من حوران، وتابعه لفنسون ولكنه قال: إنه جزء من المدفن، انظر: Levinson, p. 123.

(٢٩) الأول في ١٩ نقشاً، والثاني في النقوش: Js10;22;33-35;37، والثالث في النقشين JS2;23 والظاهر أن تعدد الأساليب لا يدل على وجود فرق دلالي، بل على تأثر النبطية بالأرامية والعربية معاً لأن الإضافة المباشرة في الأسلوب الثالث من الظواهر المميزة للعربية. قارن بـ: O'Connor, p. 223.

(٣٠) في النقوش: JS 23,26,34,35.

(٣١) في النقش JS16.

(٣٢) في النقش JS12.

(٣٣) في النقش JS14.

(٣٤) في النقش JS24.

(٣٥) في النقش JS33. وذهب Negev 1976, p. 218 إلى أن الرجل والمرأة من أسرتين مختلفتين غير أن كلمة brt أكملت من الناشرين المتعاقبين إلى : brt [h] "ابنته".

(٣٦) في النقش JS 30.

(٣٧) في النقش JS37.

(٣٨) في النقش JS27.

(٣٩) في النقشين: JS 6,32، وابنة استراتيجوس في: JS24.

(٤٠) في النقش JS31.

- (٤١) في النقشين JS20;38.
- (٤٢) في النقش JS19.
- (٤٣) في النقش JS29. وهو لفظ مختلف في اشتقاقه ودلالته، انظر: Levinson, p. 206 و: هزيم: ص ٧١-٧٢. وقيل إن لفظ 'ghr' الذي يتلو اسم صاحب النقش JS22 لقب، والصحيح أنه ليس كذلك، انظر هزيم: ص ٧٣-٧٤.
- (٤٤) في النقوش: JS8;10;14;19;28;34;35 مع تغيير طفيف في العبارة في بعضها.
- (٤٥) في النقوش JS4;19;22;28;29;36، وفي سياق مختلف في: JS3;7;24 وقد ترجم إلى "ورثة شرعيون"، انظر Lidzbarski, p. 144، أو "وفقاً لحق الوراثة"، انظر Cantineau II, p. 139 و: Levinson, p.207 وقارن بـ: Khairy, p. 167.
- (٤٦) وردت العبارة في: JS9;20;36. ومن شواهد ورودهما معاً: JS4;36.
- (٤٧) في النقوش: JS 4;7;20;32;38.
- (٤٨) في النقوش: JS 1;20;37.
- (٤٩) في النقوش: JS 13;24;36.
- (٥٠) في النقشين: JS7;29.
- (٥١) ذكرن وحدهن في النقشين JS3;12 ومع أولادهن في JS1.
- (٥٢) في النقش JS13 وثمة قراءة أخرى في نظيره CIS II 226 هي: br brth "حفيدتها" وأضاف المالك في أحد النقوش (JS9) أخاه إن أقام في الحجر وأدركه الموت فيها.

(٥٣) ورد "الإذن المكتوب" بهذه الصيغة في: JS8;33;37 وبصيغة tqf وحدها في: JS5:7 وبصيغة ktb وحدها في: JS19 وبصيغة tqf w ktb' في JS34. وحل اللفظ štr محل tqf -بالدلالة نفسها- في JS20، وهو معروف في التدمرية وسواها، انظر بشأن اللفظين الأخيرين Roschinski, p. 159 و: Cantineau, pp. 149, 157.

(٥٤) كما في النقش JS7.

(٥٥) في النقش JS8، ومع تغيير طفيف في: JS1;9;26;32;34 وأضيف إليها في: JS1: y'n' وفي اشتقاق هذا اللفظ ودلالته ثلاثة آراء انظرها في: DISO, p. 98، وفي y's'١ يُعير.

(٥٦) في النقش JS19، ومع تغيير طفيف في: JS9 والعبارات المشابهة في: JS3:8;34.

(٥٧) اللعنة في النقش JS8، والغرامة هي النقوش: JS5;9;28. وورداً معاً في النقشين: JS16:31.

(٥٨) في النقش: JS1.

(٥٩) في النقوش: JS8:19;31.

(٦٠) في موضعين من النقش JS16 فاللعنة في أولهما -وهو السطر الرابع- من ذي الشرى واللات ومناة، واللعنة في ثانيهما -وهو السطر الثامن- من ذي الشرى وهبل ومناة، وإن كان اللفظ قد زال على اللعن هنا هو šmdyn -موضع خلاف من حيث قراءته ودلالته، انظر: Roschinski, p. 159 و: DISO, p.307.

(٦١) ألف درهم حارثي لذي الشرى ومناة، ومثلها لرب إل الثاني (في JS34). وألف درهم لذي الشرى ومثلها لحارثة الرابع (في JS1) وثلاثة آلاف لكل منهما

(في JS19)، وخمس مئة لكل منهما (في JS36) ومئة درهم فقط لإله اسمه tdhy ومثلها لحارثة الرابع (في JS12).

٦٢) لذي الشرى وحده في: JS28;31 (ألف درهم)، وللملك وحده في JS9 (ألف درهم) وفي: JS5 (ألف فحسب) وللكاهن وحده في: JS16 (ألف كذلك). وقد سميت الغرامة في النقش JS16، وكذلك في النقش JS36 qns، فانظر بشأنها: Cantineau II, p. 143، و: Levinson, p. 213، على أن النقش JS36 انفرد بأن الغرامة ألف درهم لاستراتيجوس في الحجر ومثلها للملك.

٦٣) في النقش JS1.

٦٤) في النقش JS19.

٦٥) في النقش JS8، قارن بـ: Qozi, p. 121 و: Pirenne, p. 202.

٦٦) وبعبارة مشابهة في: JS2;9;11.

٦٧) لهذا النقش خصوصية ينفرد بها عن سائر نقوش المدائن، وقد نقدم الحديث عنها. وانظر بشأن الآلهة المذكورة 39, p. Cantineau 11 و Pirenne, p. 207 ff.

٦٨) كما في النقوش: JS7;19;20;36.

٦٩) انظر: lidzb, p. 124 وقارن بـ: Khairy, p. 165.

٧٠) انظر: Mueller, p. 131.

٧١) ما عدا النقش JS17 المشار إليه أعلاه وثمة نقش آخر سبقت الإشارة إليه - أحدث منه زماناً، إذ يعود إلى عام ٣٥٦م، وقد عثر عليه في مدائن صالح عام ١٩٦٥، ولكن موقعه الأصلي غير معروف، انظر: Altheim & Stiehl, V,I, 1968, pp. 305-309. والجدير بالذكر أن بعض النقوش الدقنية في السامية الغربية

الشمالية وضعها أصحابها في حياتهم، والسبب في ذلك أن هؤلاء كانوا بلا عقب،  
انظر Lidzbarski, p. 139.

(٧٢) قيل إن الغرامة عرفت قبل ذلك في النقوش الدفنية اليونانية من أسية الصغرى عامة وليكيا Lycia خاصة ثم انتقلت من هناك إلى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، انظر: Lidzbarski, p. 143. ولكن نقوش مدائن صالح تعود كما رأينا- إلى فترة سابقة لخضوع الأنباط لسيطرة الرومان.

(٧٣) Legal Inscriptions.

(٧٤) انظر: Yadin, p. 227-258 و: Polotsky, pp. 258-262.

(٧٥) انظر: Yadin, p. 241.

(٧٦) على النحو المعروف في التدمرية مثلاً.

(٧٧) Byt qyš، وورد لفظ qyš وحده مرتين آخرين بصيغة qyšh في النقشين: JS8:16 وقيل إن الاسم بصيغتيه لأحد آلهة الأنباط.

(٧٨) شواهد هذا العنصر في الفينيقية (KAI13:14)، والعبرية (KAI 191 B.) والآرامية القديمة (KAI225:226) وآرامية الدولة (KAI 260) والسبئية (RES 4091: 4090)، واللحيانية (CLL 63).

(٧٩) نولدكة في تعليقه على نقوش أوتينغ، انظر: Euting p. 80.

(٨٠) انظر: Lidzbarski, p. 163.

## جدول النقوش

[illegible]

انظر بشأن سنوات حكم رب إله الثاني: Z. Fiema and R. Jones, (ADAJ(1990), pp.239-246  
وانظر بشأن عدد النقوش المؤرخة من عهدة التنزيل الملحق بهذا البحث.

### ثبت المصادر والمختصرات

Althein, F. und R. Stiehli: Die Araber in der alten Welt. I-V (Berlin 1963-1969)

Bowersock, C. Roman Arabia (London, 1983).

Brockelmann, J.: Lexicon Syriacum (Halle, 1928, Neudr. Hildesheim, 1966).

Cantineau, J.: Le Nabatéen I. II (Paris. 1930, 1932).

CIS : Corpus Inscriptionum Semiticarum .pars secunda, Inscriptiones Aramaicas continens

CLL: Caskel, W. : Lihyan Und Lihyanisch (Dusseldorf, 1952)

DISo: Jean Ch. et J. Hoftiyzer : Dictionnaire des Inscriptions Semitiques de l'ouest (Leiden, 1965)

Doughty, Ch.: Travels in Arabia Deserta, 2 vols. (Cambridge 1888)

Euting, J.: Nabataeische Inschriften aus Arabien (Berlin 1885)

Healey, J.: The Nabataeans and Madain Salih. in: Atlat 10, part III 1986 PP. 108-116

Ja: Jamme, A. Sabaeen and Hasaeen inscriptions from. Saudi Arabia (Roma 1966), part II , PP.65-82

JS: Jaussen, A. et R. Savignac: Mission archéologique en Arabie I. II. (Paris 1909, 1914)

KAI: Donner, H. und W. Röllig : Kanaanäisch Und aramäische Inschriften I-III (Wiesbaden 1966-1969)

Khairy, N.: An Analytical Study of the Nabatean monumental Inscriptions at Medā'in Sāleh . in: ZDPV., 96, 1980. PP. 163-168

Leslau, W.: Comparative Dictionary of Ge'ez (Wiesbaden 1987)

Levinson, J.: The Nabatean Aramaic Inscriptions .Dissertation (Ann Arbor 1982)

Lidzbarski, M.: Handbuch der nordsemitischen Epigraphik (Weimar

1898. Neudr. Hildesheim 1962)

Lipinski. 1975: Lipinski, E Studies in Aramaic Inscriptions and Onomastics. 1. (Leuven 1975)

Lipinski. 1994: Studies in Aramaic inscriptions and Onomastics . II. (Leuven 1994)

Mililk. J.: Nouvelles Inscriptions Nabatéennes. in Syria 35, 1958, PP.227-251

Mlueller. H.p.: Die phönizische Grabinschrift ausdem zypern-Museum KAI 30 und die Formgeschichte Des nordwestsemitischen Epitaphs. in: ZA, 1975-1976, PP.104-132

Negev. 1971: Negev, A. A Nabatean Epitaph from Trans-Jordan .in: IEJ 21,1971,PP.50-52

Negev. 1976: The Nabatean Necropolis at Egra in: RB 83, 1 976,PP.203-236

O'Connor, M.: The Arabic Loanwords in Nabatean Aramaic..in: JNES45,1986, PP.213-229

Parr et al: Parr, P. , G. Harding and J. Dayton : Preliminary Survey in N. W. Arabia, 1968. In: Bull.Inst. Univ. London 8-9 (1 969), PP.193-242, 10(1972), PP.23-61

Periplus: The Peirplus of the Erythyraean Sea. Translated by G. W. Huntingford (London 1980)

Pirenne, J.: La Religion des Arabes préislamiques d'Après trois sites Rupestres et leurs inscriptions. in:Festschrift J. Henninger. Bonn ,1976, PP.177-217

Polotsky, H.: The Greek Papyri from the cave of the Letters in IEJ 12, 1962 , PP.258-262

Qozi, Y.: Remarques sur une Inscription Nabatéenne de Mada'in Sailh (al-Higr) In ARAM2 : 1&2 (1990).pp. 113-122

RES: Répertoire d'épigraphie sémitique



Roschinski, H.: Sprachen , Schriften und Inschriften in Nordwestarabien. in: Bonner Jahrbücher 180( 1980) pp. 155 -188.

Winnett, F. and W. Reed: Ancient Records fr. North Arabia (Toronto 1970).

Yadin Y: Expedition D. The cave of the Letters, in: IE.J 12(1962)pp. 227 - 257

Zayadine, F.: Die Felsarchitektur petra. In Petra und das Königreich der Nabatäer. Hrsg. M. Lindner (München 1983) PP. 212-248.

- الأنصاري، عبد الرحمن، وأحمد غزال وجقري كنج: مواقع أثرية وصور من حضارة العرب (العلا، الحجر). جامعة الملك سعود ١٩٨٤.

- البني، عدنان: تدمير والتدميريون. دمشق ١٩٧٨.

- ابن منظور: لسان العرب، ١٥ مجلداً، بيروت، د. ت.

- هزيم، رفعت: الألقاب والرتب السياسية والعسكرية في الكتابات النبطية، أبحاث اليرموك المجلد ١٢ العدد الثاني، ١٩٩٤، ص ٥٧-٨٧.